

مكتبة عمر بالهداية تفحص
عن مجموعة
مكتبة ومكتبة

الأطعم

إعداد

أمر معهد السحار

الناشر

مكتبة محيتر

٣ شارع كامل سدر - الجمار

ت : ٥٩٠٨٩٢٠ - فاكس : ٥٩٠٧٥٩٣

انفض مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نقاش كثير ، أثبت فيه بالدليل
الحق والبرهان الأكيد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنه محمد ﷺ رسول
الله إلى العالمين ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، وقدم البرهان والدليل على ذلك ،
فملا قلوب وعقول الحاضرين بنور الإيمان .

وتفرق جمع الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد ملأ كل منهم قلبه وعقله علماً وفضلاً
ونوراً ، وهداية وبراً ، وهم الحريصون أشد الحرص على ما يديه الرسول الكريم من
رأى ، ويشرح من أحكام ، ويفصله من غوامض الكتاب العزيز ومتشابهه .

وسار الثمان من الصحابة في جنح الظلام ، فكانوا كشبحين يقطعان ذلك الليل
الحالك ، جاذبين فسرعى الخطا .





كانا ساجدين في ذلك العالم التوراتي البديع الرائع ، الذي يأخذ بمجاميع القلوب ،
وحنايا الأفتدة ، وقد وجد كل منهما في خياله وتصويراته للذة وممتعة ونعيم ، إذ
كان يعرض ما كان في مجلس الرسول الكريم صورة صورة على مخيلته ، ويراجع ما
حدث كلمة كلمة في تفتحة وحرص ، وخياله يوايه في سهولة ويسر ، وكأنه
يعرض صوراً جديدة حية على شاشة يضاء ، لها في نفسه موضع القداسة ، ومكان
التوقير والاحترام !!..

وكان منزلهما لا يزال بعيداً ، وقد هدأت الحركة ، وسكن الصوت ، وشمل المدينة
الريحة صمت غريب . وهبت نسمة رحيّة ، فكانت هي النسيم والحناءة والمحة وسط
ذلك الجو المأزوم ، الذي يضيق الأنفاس ، ويكاد من شدة وطائه يزهق الروح .. !
وارتطمت قدام أحدهما فكانا يهوى مكثاً على وجهه ، لولا أن تداركه الله بلطفه
فأخذ صاحبه بعنقه قائلاً :

— باسم الله الذي لا يضرب مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع
العليم ... ماذا يا أخي ؟ .. أحمّ يمينك ؟ .. أم خزن يرهقك ؟ .. أم مال يشغلك ؟
— لا شيء من هذا ، والحمد لله ..

— إذن فأى شيء والطريق مغدّ ، والضراط سوى لا عوج فيه ولا ضلال ؟
— تفكير ، ولكن في أحب شيء ، وشغل ، ولكن
بالأجرة البالية لا الأولى الفاتية ، والله الحمد ..
لعماليه وآلاته .

— لله درك ، أنعم بك من صاحب ، ولكن هل
في إبداء ما تعصى ، وإظهار ما تبطن مانع ؟
— لا ، ورب الكعبة ، وهل عنك بكنم الحديث
ويطوى الخير ، ونمّع السرّ مهما كان ؟



- إذن فهات ما عندك مشكوراً ، وستكون عليه بعون الله مأجوراً .

- إني مُحدثك على شريطة أن تعلن لي رأيك صريحاً .

- وذلك دأبى ، وعليه طُبع .

وترثنا قليلاً ، وأخذ صوت رقيق حليز ، يقصُّ على صاحبه الحديث :

- فى الواقع يا صاحبي ، أنى قد ضبقتُ ذرعاً (بشابت بن قيس) فإنه حين

يُكَلِّمُ رسولَ الله ﷺ ترتطمُ الكلماتُ فى حلقه ارتطاماً وكانَ صوته الرعدُ ، قوةً

وحدة .. إني لم أسمع صوتاً كصوته جِهارةً وجفوةً .. إن له حنجرةً اعتقد أن الله لم

يخلق مثلها منذ بدء الخليقة إلى الآن .. اعذرني يا أخى فأنا لا أقصدُ من هذا غيبة أو

لمراً وإنما أريدُ أن أقرّر حقيقةً واقعةً .. إنه يُفوتُ علينا الكثير مما ينبغي أن نعلم من

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحيلُ لي أن الرسول صلوات الله وسلامه

عليه يتأذى بصوته ، ويضيقُ به ذرعاً ، ولولا ما طُبع عليه من كريم الجلال ، وحميم

الخيال ، لنهره وأذاه .. و .. وقاطعه صاحبه قائلاً :

- روئيتك يا صاحبي ، إني لا أرى رأيك ، ولا أحوالك إلا مغالياً قد ذهب بك

الشططُ مذهباً لا أفركُ عليه ، بل يجبُ أن تنزعَ عنه فى الحال ، فشابت بن قيس

يا أخى رجلٌ جليلٌ له عذرةٌ فى ارتفاع صوته ، فهو صوتُ جهورى قوئى التماسات ،

فماذا يفعلُ فى جهارته ؟ .. هذا مع أنه رجلٌ أصم ، وأنه يا صاحبي مهمل

رفعَ صوته يحيلُ إليه أن المخاطبَ لا يسمع ولا يعي ما يقول ،

فهو لذلك يحاولُ أن يُقنعَ نفسه بأن المخاطبَ قد

سمعه وفهم منه .. وابن قيس من الذين

لا أرى لهم مثيلاً فى الورع والتقوى

والزهد والإخلاص .. فما تراه فيه ..



وتأخذه عليه ، ليس بضائره ولا يصيح أن يلام عليه بحال من الأحوال ..
ولكن هذا الرأي لم يرضه فرم شفّيته وقال :

- مهما يكن من شيء فإني لا أنتقص من قدر ثابت ، ولكنني أرى أنه من الخير له
والرّسول الكريم ، ولنا جميعاً ، أن يعتزل مجلس رسول الله ﷺ ، أو يجلس ولا يتكلّم ،
أو يتكلّم بصوت خفيض يحاول على قدر الإمكان تهدئته . وفي عقيدتي أن هذا لا
يضيع عليه شيئاً ما ، بل إنني على استعداد لأن أعيد عليه كل ما يقال في مجلس
الرّسول ﷺ بصوت يسمعه بوضوح ، وأكرّزه مبالغاً في التكرار حتى يفهمه في
يسر وسهولة ، وأنا بذلك زعيم .

...

وحقاً لقد كان رسول الله ﷺ يتأذى بصوت ثابت أحياناً ، وكان ثابت نفسه يشغره
بشيء من ذلك ، ويحاول أن يخفيض من صوته ، خشية أن يؤذي الرّسول الكريم
وصحابه ، ولكنه كان لا يستطيع ، وكان كذلك لا يستطيع البعد عن هذا المجلس
الرفيع .. وكان يحس إحساساً غامضاً بخشاة وبرهية ، ويحاول أن يصرفه عن قلبه
وفكره ، ولكن دون جدوى .. لقد كان يشعر أن أمراً لابد أن ينزل فيه شيء من
القرآن ، ولكنه إذا نزل فيه قرآن فينال منه . وسيخرج كبريائه .. ترى ماذا يفعل إذا
وقع ذلك ؟ لا .. يجب ألا يسبق الحوادث .

وكانما أراد الله أن يحقق هذا الظن ، أو يصدّق هذا الإحساس الغامض لما نزل
قوله : ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ
وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ ١١

وقراها الرّسول الكريم ، وحفظها المسلمون ، وقال ابن عباس :





- « نزلت في ثابت بن قيس ، فهو جهوري الصوت ، وفي أذنه وقر ويراة حادة ..
وربما كان يكلم الرسول صلوات الله وسلامه عليه فيأذى بصوته .. » .

وسمع ثابت هذه الآية الكريمة : ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ .. ﴾ فارتاع واضطرب ،
ونفذت إلى قلبه كما ينفذ السهم المرش ، ووقعت على رأسه وقوع الصاعقة ،
وصار يسمعها تردد في أذنه في قوة وجبروت ، فهو إذا قام رث في أذنيه ، وهو
إذا سار رث في أذنيه ، يسمعها في عنف وقوة ، فيكاد يصرخ من الهول والأنسى
واللوعة . هو مزمع بقضاء الله وقدره ، وهو يعلم أن هذا مقلتر عليه لا محالة ، وأنه
لا يملك أن يدفع الضر عن نفسه ، كما لا يملك جلب الخير لنها ، وهو يتمنى أن
يوهب له أذنان حادتان مرهفتان ، لنلا يقوته شيء من مجلس الرسول الكريم ، بل
يتمنى أن يكون بدنه كله أذنا مصغية مصيعة ، ولكن كل هذا من الله .

إذن ماذا يفعل ؟ .. هل يهجر الناس ؟ .. ويحتل رسول الله ﷺ ؟ .. أم يجلس في المجالس
كالحجر المهمل الذي لا حراك به ، ولا قيمة له ؟ .. إن هذا في رأيه الحل الموفق .

ثم ماذا يكون جزاؤه ؟ .. لقد آذى الرسول الكريم طوال ذلك الزمن قبل أن
تنزل الآية الكريمة ، ويحبر الله عن ذلك ، أو في الواقع ينهى عنه معلنا أن من رفع
صوته فكأنه آذاه .. آذى من ؟ آذى رسوله وحيته .. آذى صفته وبيته .. ويا ويح
ثابت .. ! ثكلتك أمك يا ثابت .. !!

وهكذا أخذ يردد هذه الكلمات في ثورة داخلية ، ونقمة مخولة . ويحدث بها
نفسه ، داعيا عليها بالويل والبور ، وعظائم الأمور ، وهو أشد ما يكون ضيقا
وكرها ، وغما وهما ، حتى كاد يغمى عليه !

﴿ وَلَا تَجْزُوا لَهُ
بِالْقَوْلِ فَجْزِرَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَنْ
تَحْبِطَ أَعْمَالُهُمْ وَأَنْتُمْ
لَا تَشْعُرُونَ ﴾

ووقف حيران أسفا دامع العين ، واجف القلب ، مرتجف الفؤاد يقلب يديه في حزن بالغ ، وأسى عميق ، وقد جمالت في نفسه عواطف مضطربة لائبة ، حاول كتمانها والتغلب عليها ، ولكنها استبذت به استبذاذا ألما . لقد تدخل الشيطان أخيراً ، وهو الذى يجرى من ابن آدم مجرى الدم .. ووجد في هذه الحال فرصاً حصياً يمكنه أن يصل منه إلى ما يريد ، وينزع فيه إلى هذه النفس الأبية الفاضلة التى لا تلين ، هذه النفس التى طالما حاربت ، وطعنت فى الصميم طعنات نجلاء ، وهدمت آماله هدماً ، وقوضت أحلامه وأحلام أتباعه وصحابته تقويضاً .

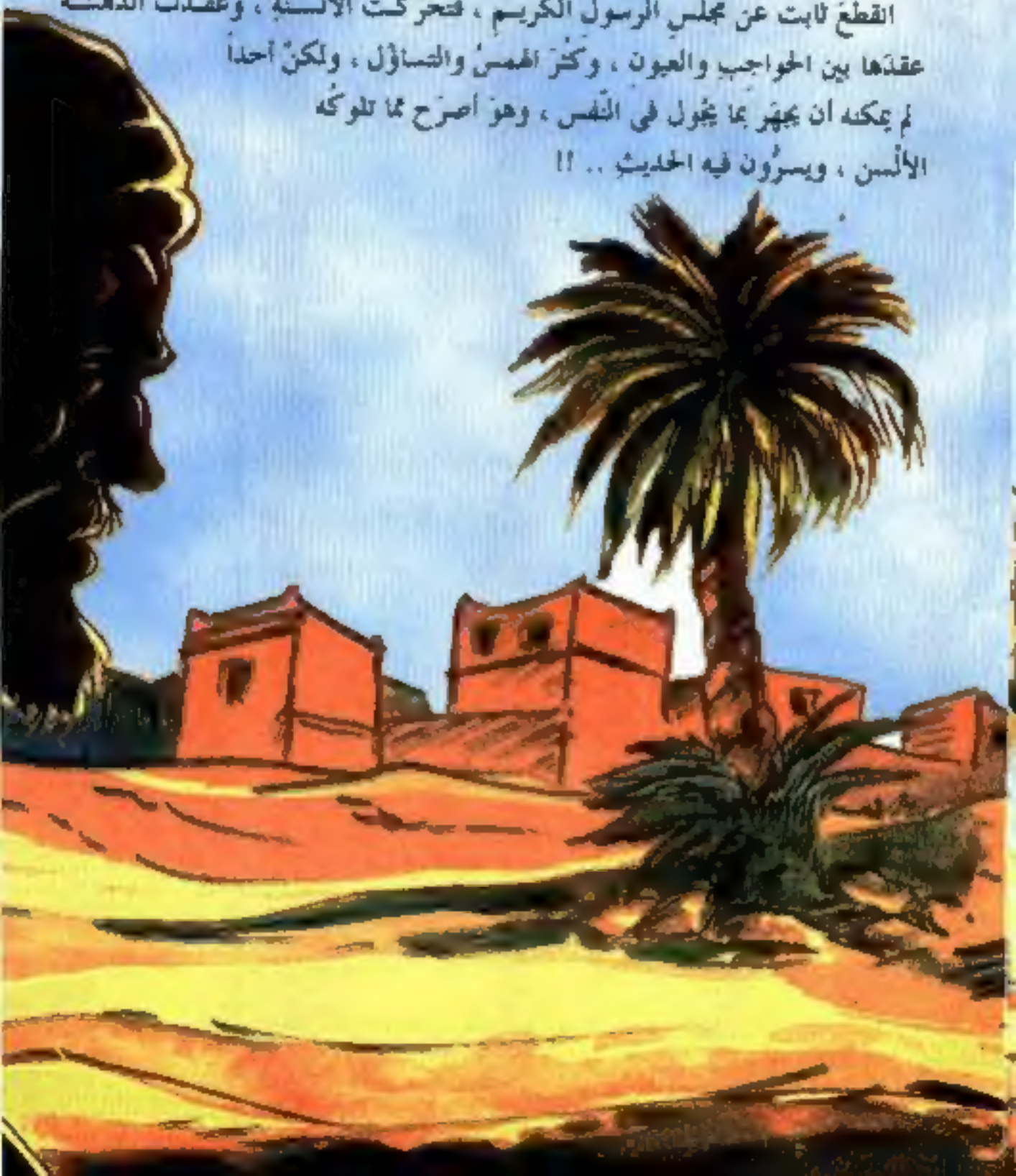
علام تحزن يا ثابت ؟ لماذا تنقم من نفسك ؟ إن كسل من يتأذى بصوتك هو الخاطى لا أنت ، ولماذا خلقت هكذا أصم الأذنين يضايقك ذلك الوقوف فيهما إلى حد كبير ؟؟

ما هذه الأوهام التى تجرؤون ورائها ؟ وما هذا الذى سمونه الرضاء بالقلب كيفما كان ، وحيثما اتفق ؟؟ فكروا ثابت ، إنك فى عمرة من الهم والغم فانطلق إلى الرحابة والطلاقة والصميم .. كن كاتباعى ساجداً فى اللذة ، لاهاً فى الحياة .. دعك من حياة الحدة والنصب والنصب التى يحياها هؤلاء المؤمنون . إن الحياة ساعة من ساعات الفرح والسرور ، فلماذا تبقى هكذا قائماً على نفسك داعياً عليها بالويل واليبور .. محالف .. نر .. اعصي .. حطم الأغلال والأصفاد والقيود .. تخل من هذه العهود وتلك المواثيق التى كتبت نفسك بها ، ورضيت بهذا السخى طائفاً مختاراً .. ها ..

وانته ثابت إلى نفسه عندما بلغ الشيطان منه هذا الحد ، واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، وفاضت عينا بالدموع .. دموع الندم والتوبة من هذه الغفلة التى لزغ إليه فيها الشيطان ، عدوه اللذود ..

ووجد في التمعق لذة ، وفي التلم متعة فأخذ إليهما ، وهو عاجز عن تحديد موقفه تماما ، ولكنه عزم أخيرا ، أن يعزل الصحابة والرسول حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا .. !!

القطع ثابت عن مجلس الرسول الكريم ، فحركات الألسنة ، وعقدات الدهشة عقدتها بين الحواجب والعيون ، وكثر الهمس والتساؤل ، ولكن أحدا لم يمكنه أن يجهر بما يقول في النفس ، وهو أصرح مما تلوكة الألسن ، ويسرون فيه الحديث .. !!





- ١٤ -

وتفقد رسول الله ثابتاً ، وهو الذي كان يلزم مجلسه فلم يجده ، فتعجب لذلك ،
وسأل عنه ، فأخبر أنه بخير ، وكل ما هنالك أنه أثر العزلة والخلة إلى نفسه ..
وجاء رسول الرسول ﷺ يستقيم ثابتاً ، فركض قلبه بين جوانحه ، واضطرب
في حيرة ودهشة ، وطلع فزادة وشعر كأنها خلع من مكانه ، واستبد به الخوف
والهلع ، ولكن الرسول الذي أرسله إليه رسول الله ﷺ طمأنه ، وأخبره أنه عليه
الصلاة والسلام مشفق به ، حذب عليه ، يود رؤيته ، ليطمئن عليه ، ويأمن به ..
وهنا أفرخ روعه ، ثم فارقة الخوف رويداً رويداً حتى ملك زمام نفسه ، وتوكل
على الله ..

ولما مثل بين يدي رسول الله ﷺ ، سأله قائلاً :

— لماذا اعتزلت يا ثابت ، وأخوت البعد عنا ؟!

فقال ثابت في حزن وأسى :

— يا رسول الله ، لقد أنزلت إليك هذه الآية ، وأتى رجل جهم الصوت ، فأخاف

أن يكون عملي قد خبط .. !!

فقال ﷺ في حنان وعطف :

— لست هنالك ، إنك بخير ، وتموت بخير ، وإنك من أهل الجنة .. !!

...



جمال محمد

وسمع الصحابة هذه البشرى الطيبة من رسول الله ثابت ، فتمنى كلُّ منهم لو كان هو ثابتا .. لقد ضيقَ جزاءه مُقلِّعا .. فهيناً لك أيها الأصمُّ العظيم ، الذي خطيَ باهتمام رسول الله وعنايته ، ونال من الله جزيلَ الأجر ، وعظيمَ الثواب .. وكان في مجلس الرسول حينذاك صحابيان ، لما سمعا ما قال نظرَ أحدهما إلى صاحبه وكأنه يقول :

- ألم أخبرك من قبلُ ونحن في الطريق إلى دارنا بعد الصراخِ من مجلس رسول الله ، بفضل ذلك الرجل ؟ .. مع ذلك فقد أصروا على رأيك فيه ، ولكن الله أظهر الحقَ أعبراً ، لا يقبلُ ريبة ولا شكاً ..
وتخاذل الآخر أمام نظرات صاحبه وكأنه يعرفُ بخطأ نظريته وخطئها ، وفي تحاذله معنى الإنابة والصراعة والندم .

